الفروقات
بين
الكنائس المسيحية

بقلم
المطران بولس الخوري

الفروقات
بين
الكنائس المسيحية

بقلم

المطران بولس الخوري

الاهداء

إلى غبطة راعي الرعاة النبيل كيريوس كيريوس اغناطيوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق. الجالس بجدارة واستحقاق على كرسي الرسولين بطرس وبولس. مؤسسي الكرسي الأنطاكي المقدس.

اهدي هذا الكتيب.
عربون محبة واحترام وتقدير ووفاء.

صيدا في أول أيلول ١٩٨٩

المطران بولس الخوري

مقدمة

كتبت هذه المقالة في أثينا سنة ١٩٢٥ بناء على طلب المثلث الرحمة البطريرك غريغوريوس حداد.

وقد اعتمدت في كتابتها على مؤلفات أساتذتي في كلية اللاهوت بجامعة أثينا. أذكر منهم المؤرخ الكبير المطران خريسوستوموس باباذ وبولس رئيس أساقفة اليونان.

وأرسلت المقالة إلى البطريرك غريغوريوس فكتب إليّ يقول: لا نستطيع أن ننشر مقالتك في ظل الانتداب الفرنسي. لذلك احتفظنا بها لحين رجوعك إلينا بالسلامة. فنسلمك إياها لتحتفظ بها إلى أن تنال بلادنا استقلالها فتنشرها أنت إن شاء الله.

وعندما عدت إلى دمشق سنة ١٩٢٦ أعاد إليّ البطريرك المقالة.

ولم يتيسر لي نشرها حتى اليوم.

صيدا في أول أيلول ١٩٨٩.

المطران بولس الخوري

كيف حصل الانشقاق بين
الكنيستين الشرقية والغربية

كانت الكنيستان الشرقية والغربية متحدتين في الإيمان حتى القرن العاشر. حينما انفصلتا لاسباب أهمها ميل أساقفة رومية إلى التسلط على الكنيسة كلها. وقد ورثوا هذا الميل عن قياصرة روما التي كانت عاصمة العالم في ذلك الزمن.

ومنذ القرن الثاني للمسيح أبدى أسقف رومية رغبته في بسط رئاسته على الكنائس كلها شرقاً وغرباً فقاومته الكنائس الغربية ردحاً من الزمن ثم رضخت له. وأصبح أسقف رومية الرئيس الأعلى للكنيسة الغربية كلها.

أما الكنائس الشرقية فقد قاومت هذا الميل منذ ظهوره. وعندما أصبحت القسطنطينية عاصمة المملكة الجديدة سنة ٣٣٠ أصبح أسقف القسطنطينية المنافس الرهيب لأسقف رومية.

وعندما أعطى المجمع المسكوني الرابع سنة ٤٥١ حقوقاً إكرامية إلى أسقف القسطنطينية مساوية لحقوق أسقف رومية الأكرامية بالقرار القائل: «كما إن لأسقف رومية حق التقدم على أساقفة الغرب. هكذا فليكن لأسقف القسطنطينية حق التقدم على أساقفة الشرق».

عندئذ تمت أسباب المنافسة بين أسقف رومية وبين أسقف القسطنطينية وابتدأ النزاع.

ولم يكن نزاع رومية والقسطنطينية إلا نزاع عالمين: عالم الشرق وعالم الغرب. بل نزاع مبدأين: مبدأ السيادة ومبدأ الحرية. ومن المحزن انه كان نزاع بين شقيقتين من ام واحدة. هي الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية.

وعندما قضت الأحوال المحلية في أواسط القرن التاسع باستقالة اغناطيوس من كرسي بطريركية القسطنطينية وانتخاب علامة عصره صاحب المؤلفات الغزيرة فوتيوس الكبير بطريركاً بدلاً منه. بعد أن تدرج في الدرجات الكهنوتية الثلاث وانتخابه بصورة قانونية.

وهنا ظن بابا روما نقولا الأول إنها الفرصة السانحة للتدخل في شؤون الكنيسة الشرقية وبسط سلطته عليها.

لذلك عندما وجه البطريرك فوتيوس الرسالة السلامية وفقاً للعادة المتبعة حتى اليوم إلى بطاركة الشرق وإلى بطريرك الغرب باب رومية تلقى من الجميع أجوبة التهنئة بانتخابه بطريركاً. أما البابا فقد كتب إلى الملك مخاييل الثالث يحتج على اسقاط اغناطيوس وانتخاب فوتيوس.

كما أنه كتب الى فوتيوس ينكر عليه درجته الكهنوتية. مع أن إسقاط او انتخاب البطاركة في الشرق لم يكن يتوقف على

رأي البابا. ولم يكن في الكنيسة الشرقية قانون يمنع العلماني من الترقي إلى البطريركية بعد أن يتدرج في الدرجات الكهنوتية الثلاث. وأمثلة ذلك كثيرة. فقد انتخب كثيرون علمانيون بطاركة قبل فوتيوس. منهم: البطريرك تاراسيوس عم البطريرك فوتيوس.

فلم يحترم البابا تقاليد الكنيسة الشرقية القديمة بل تدخل في امر ليس من صلاحياته واراد أن يفرض رأيه بصورة الأمر.

أما فوتيوس فكان رجلاً عاقلاً ومسيحياً حقيقياً لذلك أراد أن يتجنب الشر من أجل المحافظة على وحدة الكنيسة. فعقد مجمعاً سنة ٨٦١ الذي أقر قانونية انتخابه في حضور الأسقفين المرسلين من قبل الباب لتمثيله في المجمع.

وارسل قرار المجمع إلى البابا جواباً على رسالة البابا إليه. ونصح فوتيوس الباب أن يترك الخلاف على أمور ادارية لا تتعلق بالإيمان المسيحي حباً بوحدة الكنيسة جمعاء.

أما البابا نقولا فقد عقد مجمعاً في روما سنة ٨٦٣ وحرم الأسقفين اللذين اشتركا في التصديق على انتخاب فوتيوس. واعلن ان انتخاب فوتيوس غير قانوني. مدعياً السلطة على الكنائس كلها.

فأثار سلوك البابا هذا الشعب الأرثوذكسي واهاج الخواطر ضده.

غير أن البطريرك فوتيوس بقي معتصماً بالصبر حتى تعددت الأسباب التي دفعته للدفاع عن حرية الكنيسة الشرقية واستقلالها.

وحدث بعد ذلك ان أوفد البابا بعثة من أكليروسه إلى بلغاريا لتسعى باستمالة الشعب البلغاري إليه بقصد فصل الكنيسة البلغارية عن البطريركية القسطنطينية والحاقها برومية. فأخذ رجال تلك البعثة ينتقدون الطقوس الشرقية ويروجون لطقوسهم الغربية.

عندئذ رأى البطريرك فوتيوس نفسه مضطراً للدفاع عن حرية الكنيسة الشرقية واستقلالها. لذلك أصدر منشوره سنة ٨٦٧ إلى بطاركة الشرق يدعوهم فيه إلى الجهاد المشترك. فالتأم المجمع في القسطنطينية (٨٦٧) وكان من أول أعماله الحكم على بابا رومية بالقطع من الكنيسة. وتجريده من درجاته الكهنوتية وفرض الحرم الكنسي عليه. وبلّغ هذا الحكم إلى البابا. فكان له تأثير بليغ عليه. حتى انه لم يعش بعد تبلغه هذا الحكم غير سنة واحدة وتوفي.

إن فوتيوس الكبير هو من عظماء الكنيسة الشرقية وهو لم يسبب الانشقاق بين الكنيستين. بل الذي سببه هو بابا رومية. ولم يكن بإمكان فوتيوس أن يفعل غير ما فعل. لأن القضية تتعلق بمصير الكنيسة الشرقية كلها. ولو أن فوتيوس سكت عن عمل البابا لكانت الكنائس الشرقية مستعبدة لبابا رومية

إلى الأبد. وبعبارة أخرى أن فوتيوس وقع بين شرين: شر الانشقاق، وشر الاستعباد، فاختار أهونهما.

غير أن هذا الموقف الصريح والحازم الذي وقفته الكنيسة الشرقية. لم يردع باباوات رومية عن التدخل في شؤون الشرق. حتى اضطر البطريرك ميخائيل كيرولاريوس أن يعقد مجمعاً في القسطنطينية سنة ١٠٥٤. وهذا المجمع وضع حداً لتدخلات بابا رومية. وحكم على الكنيسة الغربية بالانفصال عن الكنيسة الشرقية.

وقد صادق كل بطاركة الشرق على هذه القرارات.

وهكذا تم الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية. وهو أكبر مصيبة أصابت العالم المسيحي منذ نشأته. ومما ثبت الانشقاق وزاد العداوة بين الكنيستين. هي الحملات الصليبية. فان الصليبيين الذين جاؤوا لمحاربة المسلمين قد حاربوا الأرثوذكسيين ايضاً. فكانوا بمرورهم في الأراضي البزنطية يحتلونها. حتى انهم احتلوا العاصمة (القسطنطينية) فدخلوا كنيسة آجيا صوفيا وربطوا خيولهم في الأيقونسطاس. وارتكبوا الفواحش في الهيكل. ثم ذهبوا إلى انطاكية واقالوا البطريرك الأرثوذكسي واقاموا بدلاً منه بطريركاً لاتينيا.

كما انهم اندسوا في المدن والقرى السورية واللبنانية يبثون روح التفرقة والشقاق بين المسيحين والمسلمين وبين المسيحين أنفسهم جرياً على سياسة (فرّق تسد).

وقد فككوا الدولة البيزنطية واقاموا على انقاضها مملكة لاتينية. وبقيت مملكتهم من ١٢٠٤ - ١٢٦١ حينما حلّها ميخائيل باليولوغوس. وخلال هذه المدة (١٢٠٤ - ١٢٦١) اضطهدوا الأرثوذكس اكليروسا وعلمانيين وقتلوا اعداداً كبيرة من الأبرياء. وأقاموا بطريركاً لاتينياً وأساقفة لاتين بدل الأرثوذكسيين وأعلن بابا رومية نفسه رئيساً أعلى على الكنيستين الشرقية والغربية.

ولما هدد الأتراك قياصرة بيزنطية استنجد هؤلاء بالبابا الذي كان له نفوذ كبير على ملوك اوروبا في ذلك الحين. ووعدوا البابا بإقناع الشعب الأرثوذكسي على الخضوع لسلطته. ولكن البطاركة الأرثوذكس رفضوا الخضوع للبابا. وكان جوابهم تلك العبارة المشهورة: «عمامة محمد ولا تاج البابا».

الفروقات بين الكنيستين الأرثوذكسية والبابوية

الفروقات العقائدية

١ - الأنبثاق

قال السيد المسيح: «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله إليكم من الأب. روح الحق الذي من الأب ينبثق فهو يشهد لي». (انجيل يوحنا اصحاح ١٥ عدد ٢٦).

وجاء في دستور الإيمان البند الثامن: «وبالروح القدس المنبثق من الأب».

وصادقت على هذا الدستور المجامع المسكونية وحظرت كل زيادة أو تغيير عليه.

إن دستور الإيمان ما زال محترماً من جميع الكنائس. لأنه وضع باجماع الكنائس المسيحية الشرقية والغربية قبل الانشقاق. وهو يجمع العقائد المسيحية.

وقد حافظت عليه دون زيادة او تغيير الكنيسة الأرثوذكسية. أما الكنيسة البابوية فقد أضافت إلى البند الثامن منه كلمة (والابن) فأصبحت العبارة هكذا: «وبالروح القدس المنبثق من الأب والأبن».

دخلت هذه الزيادة على دستور الإيمان لأول مرة في

اسبانيا (القرن السادس) ومنها انتقلت إلى فرنسا ولكن الكنائس الأخرى رفضتها. والبابا نفسه رفضها. وجاء البابا لاون الثالث عشر فنقش دستور الإيمان على صفيحتين من النحاس باللغتين اليونانية واللاتينية. بدون زيادة كلمة (والابن) وعلق الصفيحتين على باب كنيسة القديس بطرس في رومية. معلناً انه فعل ذلك ليحفظ دستور الإيمان سالماً كما وضعه المجمعان المسكونيان الأول والثاني.

ولكن بعد سنوات قليلة جاء البابا نقولا فنقض ما فعله سلفه. وسمح باضافة كلمة و «الابن» على دستور الإيمان.

إن البطريرك فوتيوس الكبير احتج على هذه الزيادة على دستور الإيمان. والبابا يوحنا الثامن وعد باصلاح هذا الخطأ. ولكن البابوات الذين جاؤوا بعده حافظوا على هذا الخطأ. وما زالت الكنيسة البابوية تحافظ على هذه الزيادة في دستور الإيمان حتى اليوم.

٢ ـ المطهر

إن الكنيسة البابوية تعتقد أن الأرواح بعد الموت تذهب إلى مكان يدعى المطهر. حيث تطهر من خطاياها الصغيرة بعد أن تخضع لتعذيبات متنوعة. وبعد تطهيرها تذهب الى الفردوس.

أما الكنيسة الأرثوذكسية فتعتقد أن الأرواح بعد الموت

تنتظر يوم الدينونة في مكان وسط لا هو نعيم ولا هو جحيم.

إن اللص عندما قال للسيد المسيح وهو على الصليب: «اذكرني يا رب متى أتيت في ملكوتك» سمع الجواب من المسيح: «اليوم تكون معي في الفردوس» ولم يقل له: اليوم ستذهب إلى المطهر وبعد تطهيرك ستأتي إلى الفردوس.

يعتقد البابويون أن البابا له السلطة أن يعيّن مدة بقاء النفس في المطهر. وذلك بموجب اوراق الغفرانات التي يشتريها الخاطىء. أو أن يعفيه من المطهر. وذلك بالنسبة للمبلغ المالي الذي يدفعه. ويستطيع الإنسان ان يخطىء على مدى حياته دون أن يخاف عقوبة جهنم إذا اشترى اوراق غفرانات بثمن غال.

إن هذه التقاليد تشوه حقيقة الدين. ولها عواقب وخيمة على حياة الناس.

٣ ـ الحبل بلا دنس

إن الكنيسة البابوية تعتقد إن القديسة حنة حبلت بالعذراء مريم بلا دنس.

أما الكنيسة الأرثوذكسية فتعتقد إن القديسة حنة حبلت بالعذراء مريم حبلاً طبيعياً.

عصمة البابا

سنة ١٨٧٠ قرر مجمع رومية عقيدة جديدة. لم يسبق لها

مثيل في تاريخ الكنيسة. هي (عصمة البابا). أي أن البابا معصوم عن الخطأ.

إن هذه العقيدة المستحدثة (البدعة) تتناقض مع قول السيد المسيح الذي رفض أن يقال له «أيها المعلم الصالح». عندما سأله ذلك الشاب: «ماذا أعمل أيها المعلم الصالح لارث الحياة الأبدية؟ قال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحد صالحاً إلاّ واحد. وهو الله» (انجيل لوقا الاصحاح ١٨ عدد ١٨).

وقد احتج على هذا القرار المخالف للانجيل المقدس عدد من المسيحيين الغربيين. وخرجوا من الكنيسة البابوية. وسمُوا أنفسهم (الكاثوليك القدماء).

الفروقات الطقسية

من الفروقات الطقسية ما نتج عن عادات قومية ومنها ما نشأ بعد الإنشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية وإليك بعضها:

١ ـ استعمال الفطير في سر الشكر:

إن الكنيسة الأرثوذكسية تقدس على الخمير بينما الكنيسة البابوية أو الغربية تقدس على الفطير. الكنيسة الأرثوذكسية تؤيد وجهة نظرها كما يلي:

أولاً ـ إن السيد المسيح أكل خبزاً مخمراً مع تلاميذه في العشاء السري. انظر (انجيل يوحنا ١٣: ١) (وانجيل متى ٢٦: ١٧) ومرقس (١٤: ٢) ولوقا (٢٢: ٧).

ثانياً ـ إن كلمة «ارطوس» اليونانية الواردة في الإنجيل تعني الخمير وليس الفطير.

ثالثاً ـ إن الرسل الأطهار استعملوا الخبز الخمير في تكميل سر الشكر الإلهي. أنظر سفر أعمال الرسل اصحاح ٢ عدد ٤٢ ـ واصحاح ٢٠ عدد ٧.

رابعاً ـ إن القديس يوحنا الذهبي الفم في تفسيره كلمة

«ارطوس» قال أنه يقصد بها الخبز الخمير. (انظر مقالته ٨١ على انجيل متى).

خامساً ـ إن المسيحيين القدماء كانوا يحضرون معهم إلى الكنيسة خبزاً وخمراً. وبعد الأنتهاء من خدمة القداس كانوا يوزعون الفضلات على الفقراء.

ولا شك في انهم كانوا يستعملون الخبز الخمير وليس الفطير. «أنظر الرسالة الأولى إلى كورنتوس (١١: ٢١).

٢ ـ المعمودية:

الكنيسة الأرثوذكسية تعمد بالتغطيس والبابوية بالرش.

والكلمتان في اللغة اليونانية (اعمد ومعمودية) تعني التغطيس وليس الرش. ووردت الآية «ولما اعتمد يسوع صعد من الماء (متى ٣: ١٦ ومرقص ١: ١٠)». فالكلمة صعد تعني أنه نزل في الماء.

وقد اكتشف في روما في سرداب القديس كليستوس صورة من القرن الثاني تمثل المسيح غاطساً في الماء ومنتشلاً منه بيد يوحنا. كذلك في دير «ذفني» قرب اثينا صورة قديمة منقوشة بالفسيفساء تمثل المسيح غاطساً في الماء ومعمداً من يوحنا. والقديس باسيليوس الكبير في مقالته عن الروح القدس يقول: بثلاث غطسات يجب أن يكمل سر المعمودية.

والكنيسة القديمة لم تكن تسمح بالتعميد بالرش إلا في حالة الخطر الشديد. وإذا عاش من عمد بالرش وهو في حالة الخطر كان يمنع من سر الكهنوت.

والكنيسة الغربية ذاتها في العصور الأولى كانت تعمد بالتغطيس كما تثبت كتب الطقوس القديمة التي ما زالت محفوظة لديها. ولم تسمح بالتعميد بالرش إلا من القرن السادس عشر وما بعده. أما سر الميرون المقدس فمحصور بالأساقفة وليس بعد المعمودية رأساً بل عندما يصبح الولد في سن الرشد. وليس بالميرون المقدس بل بوضع اليد.

مع أن هذين السرين: المعمودين والميرون كانا غير منفصلين في الكنيسة القديمة وكان الكهنة كما الأساقفة يكملونهما كما هي الحال في الكنيسة الأرثوذكسية.

يقول الكاتب الكنسي الغربي ترتيليانوس في تأليفه عن المعمودية ما يأتي:

«بعدما نخرج من جرن المعمودية ننال الميرون المقدس حسب الطقس القديم».

٣ ـ درجة الكردينالية:

إن الغربيين اضافوا على درجات الكهنوت الثلاث درجة جديدة سموها درجة الكاردينالية. فالكاردينالات يعتبرون امراء الكنيسة الغربية. فيلبسون ثياباً مزخرفة ويديرون وزارات

الفاتيكان. وينتخبون البابا. فهم سياسيون أكثر منهم كنسيون.

وبما ان البابا يريد أن يكون ملكاً على العالم كله. فهو يعين أساقفة حيث لا يوجد أحد من اتباعه حتى وحيث لا يوجد مسيحيون على الأطلاق.

٤ ـ بتولية الأكليروس:

أما بتولية الأكليروس فليست إلا ليستسلم الأكليروس بكليته إلى البابا. ويكون جندياً مستعداً دائماً للكفاح من أجله.

مع أن الكنيسة القديمة لم تكن تمنع زواج الأكليروس حتى الأساقفة. فالقديس غريغوريوس اللاهوتي الكبير كان بن أسقف كما كان غيره من القديسين ابناء أساقفة. ولكن الكنيسة فيما بعد لأسباب اجتماعية لا مجال لذكرها هنا حددت أن يكون الأساقفة غير متزوجين لينصرفوا عن الأهتمامات الدنيوية إلى الأهتمامات الروحية. ويؤسفنا أن نقول أن نتيجة البتولية الأجبارية كانت وخيمة جداً كما يعرف من له اطلاع على التاريخ.

٥ ـ التماثيل:

من الفروقات الطقسية التماثيل. فالكنيسة البابوية أدخلت التماثيل إلى دور العبادة. أما الكنيسة الأرثوذكسية فقد رفضت

وترفض قبول التماثيل في دور العبادة. وتستند في هذا الرفض إلى قول السيد المسيح:

«الله روح وبالروح والحق يجب أن يسجد له». (انجيل يوحنا ٤: ٥).

وإلى قوله ايضاً: «للرب الهك تسجد. واياه وحده تعبد» (انجيل متى ٤: ١٠).

وإلى قول الرسول بولس: «الله لا يسكن في هياكل وتماثيل من صنع البشر» (اعمال الرسل ١٧: ١٥).

وهناك فروقات طقسية أخرى نذكر منها ما يلي:

ـ الكنيسة الأرثوذكسية تصلي على الزيت لشفاء المرض ولغفران الخطايا. والبابوية تعتبر الزيت المسحة الأخيرة وتمسح به الموتى. مع أن الكتاب المقدس يعلم أن الزيت يمنح للمرضى لشفائهم روحياً وجسدياً (يعقوب ٥: ١٤ ـ ١٥):

ـ لا يناولون الأطفال فإذا مات طفل يموت بدون مناولة.

ـ لا يتناولون من كأس واحدة كما يقول بولس الرسول (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس رقم ١٠: ١٧) بل كل واحد يتناول برشانة الخ ـ . . .

ـ ويعتقدون أن فعل الأسرار الألهية يتوقف على شخصية

الكاهن وعلى حفظ الترتيب الخارجي. يقول الكاهن: «أنا أعمدك، أنا أكللك، أنا أمسحك».

بينما الكاهن الأرثوذكسي يقول: «يعمد عبد الله، يمسح عبد الله، يكلل عبد الله». الخ... لأن الكنيسة الأرثوذكسية تعتقد أن الفاعل في الأسرار هي النعمة الألهية وليس الكاهن الذي هو آلة للنعمة ليس إلاّ. وبعبارة أخرى أن الكنيسة الأرثوذكسية تعلم أن فعل الأسرار يتوقف على النعمة الألهية وليس على الكاهن. بقطع النظر عن شخصية هذا الكاهن.

ومما يستحق الذكر أن أحد معلمي الكنيسة الغربية العظماء الأب اوغسطينوس يقول في كلامه عن الأسرار ما يلي:

«إن السيد المسيح عندما غفر للمرأة الخاطئة لم يقل لها أنا أغفر لك خطاياك بل قال مغفورة لك خطاياك» (لوقا ٧: ٤٨).

الفروقات الادارية

(١) الرئاسة العليا.

إن الكنيسة الأرثوذكسية تعتبر المجمع المسكوني. الرئاسة العليا للكنائس كلها. أما الكنيسة البابوية فتعتبر البابا رئيساً أعلى للكنائس كلها (فوق المجامع المسكونية). إن الأرثوذكسية تؤيد رأيها بما يلي:

إن الرسل الأطهار اجتمعوا في اورشليم لينظروا في خلاف نشأ بين الرسل أنفسهم بالنسبة إلى الذين جاؤوا إلى المسيحية من اليهود. وبين الذين أتوا من الوثنيين. فمن الرسل من رأى أن يعتنق الوثنيون الدين اليهودي قبل قبولهم في الدين المسيحي. ومنهم من رأى أن الوثنيين يجب أن يقبلوا في المسيحية مباشرة. ولم يحكم في هذا الخلاف فرد من الرسل.

بل اجتمعوا لتحكم الجماعة. أي الرسل مجتمعين. (أنظر سفر أعمال الرسل الأصحاح ١٥) وقد حكم مجمع الرسل بقبول الوثنيين في الدين المسيحي مباشرة دون أن يمروا في الدين اليهودي. لأن المسيحية ليست تابعة للدين اليهودي. بل هي دين قائم بذاته. إن الكنائس المسيحية في الشرق

والغرب. قبل الانشقاق كانت تدار على الطريقة الجماعية أو الديمقراطية. وليس على الطريقة الديكتاتورية. وعندما كانت تنشأ قضايا عامة تتعلق بأكثر من كنيسة واحدة. كان يجتمع المجمع المسكوني المؤلف من جميع البطاركة ورؤساء الكنائس المستقلة. فينظر المجمع في تلك القضايا ويبت فيها. وقراراته كانت نافذة على الجميع. والبرهان على صحة هذا القول في قرارات المجامع المسكونية السبعة المعترف بها من كنائس الشرق والغرب حتى اليوم.

(٢) خلافة بطرس

لكي يبرر البابويون رئاسة البابا على الكنائس كلها يدعون بأن البابا هو خليفة بطرس. وان بطرس كان رئيساً على الرسل ويستندون بذلك إلى الآية الواردة في انجيل «متى اصحاح ١٦ عدد ١٣». وهذا نصها:

((سأل يسوع تلاميذه من يقول الناس اني أنا ابن الإنسان. فأجاب سمعان بطرس. أنت هو المسيح ابن الله الحي. فقال له يسوع: طوبى لك يا سمعان ابن يونا. إن لحماً ودماً لم يعلن لك. لكن أبي الذي في السموات. وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها)). إن هذه الآية لا تعني كما يريد البابويون أن يفسروها. فالصخرة ليست بطرس. بل هي إيمان بطرس بأن المسيح هو ابن الله. فالكنيسة مبنية على

الوهية المسيح الحي. وليس على بطرس الإنسان المائت. ولا يمكن أن يكون أساس الكنيسة بشراً بل الأساس هو الله حتى يصح قول المسيح: «وابواب الجحيم لن تقوى عليها». و «سابقي معكم إلى الأبد». وبولس الرسول يقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس الأصحاح العاشر العدد الرابع. «والصخرة كانت المسيح».

إن القديس اغستينوس أحد آباء الكنيسة الغربية العظماء فسر هذه الآية في مقالته ٢٧٠ كما يلي: «أنت بطرس. وعلى هذه الصخرة التي هي إيمانك بأن المسيح هو ابن الله الحي ابني كنيستي». وفي مقالته ٧٦ يقول: «إن الذين يبنون على البشر يقولون أنا لبولس. وأنا لأبولس. وأنا لبطرس. أما الذين يبنون على إيمان بطرس بألوهية المسيح يقولون: أنا للمسيح. فالكنيسة مبنية على المسيح لا على بطرس. (انتهى تفسير القديس اغستينوس). وقد علق الكاتب الفرنسي اندراوس بوريا على تفسير القديس اغستينوس بما يلي؟

«إن أربعين أباً من آباء الكنيسة وكتابها العظماء يفسرون الآية المشار إليها كما فسرها القديس اغستينوس. أي أن الصخرة ليست بطرس بل هي إيمان بطرس بألوهية المسيح. ومن جملة هؤلاء الأربعين أباً هم عشر باباوات».

إن الرسل أنفسهم لم يعترفوا برئاسة بطرس عليهم.

فالرسول بولس يقول: «الرجل هو رأس المرأة. كما أن المسيح هو رأس الكنيسة».

(أنظر رسالة بولس إلى أهل افسس فصل ٥ عدد ٢٣).

ولم يقل بولس أن بطرس هو رأس الكنيسة، كما أن المجامع المسكونية لم تعترف برئاسة البابا. فقد سنت دستور الإيمان وجاء فيه: «واعترف بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية». فكلمة كنيسة تعني الجماعة. وكلمة جامعة تعني الجماعة ولا تعني الفرد. ولو أن المجامع كانت تعترف برئاسة البابا لكانت وضعت هذا الأعتراف في دستور الإيمان. هذا الدستور المعترف به من جميع الكنائس المسيحية.

(٣) حق الأولية.

إن اعطاء أسقف رومية حق الأولية أو التقدمية على أساقفة الغرب. ثم اعطاء أسقف القسطنطينية حق التقدمية أو الأولية على أساقفة الشرق. هي قضية زمنية أو سياسية. نشأت من مركز العاصمة. فعندما كانت رومية عاصمة الغرب. وكان أسقفها يجلس عن يمين الملك أو الأمبراطور. اكتسب من هذا المركز الزمني حق التقدم على غيره من أساقفة الغرب. وعندما أصبحت القسطنطينية عاصمة الشرق وكان أسقفها يجلس عن يمين الأمبراطور أو الملك. اكتسب من هذا المركز الزمني حق التقدم على غيره من أساقفة الشرق.

فلو أن القضية هي دينية لكان لأسقف انطاكية حق التقدم

على جميع أساقفة الشرق والغرب. لأنه هو الخليفة الأول للرسولين بطرس وبولس اللذان أسسا كنيسة انطاكية قبل كنيسة رومية. وما زال بعض بطاركة الشرق يحملون اسم بطرس مرادفاً لأسمهم الشخصي معتبرين انفسهم الخلفاء الأولين لبطرس. ولو أن القضية دينية لكان لأسقف اورشليم حق التقدم على جميع أساقفة الشرق والغرب. لأنه هو خليفة السيد المسيح المؤسس الأكبر والأول والأصيل للكنيسة المسيحية جمعاء، وهو أكبر من بطرس وبولس وسائر الرسل.

(٤) دولة الفاتيكان.

إن بابا رومية أعلن نفسه رئيس دولة زمنية. وهذا يتعارض مع قول السيد المسيح عن نفسه: «مملكتي ليست من هذا العالم».

(انظر انجيل يوحنا الفصل ١٨ العدد ٣٦).

كما أنه يتناقض مع قوله أيضاً: «اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

(انظر انجيل متى الفصل ٢٢ العدد ٢١).

كذلك يخالف وصية السيد المسيح لتلاميذه: «انتم تعلمون ان رؤساء الأمم يسودونهم وعظماءهم يتسلطون عليهم فلا يكون هذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً

فليكن لكم عبداً. كما أن ابن الإنسان لم يأت لِيُخدم بل لِيَخدم».

(متى فصل ٢٢ عدد ٢٥ - مرقص فصل ١٠ عدد ٤٤ - لوقا فصل ٢٢ عدد ٢٥).

وهنا يبرز هذا السؤال:

هل كان القديس بطرس رئيس دولة زمنية؟

(٥) البابا في نظر الأرثوذكس

إن الكنائس الأرثوذكسية تعتبر بابا رومية بطريركاً على الغرب. ورئيساً أعلى على كنائس الغرب التابعة له.

فإذا تنازل عن الرئاسة على جميع الكنائس المسيحية في العالم.

حينئذٍ تعتبره الأول بين البطاركة. وبعده يأتي بطريرك القسطنطينيَّة. ثم البطاركة الآخرون.

ويومئذٍ يصبح قداسته المتقدم بين متساوين.

المساعي في سبيل الاتحاد

إن أهم المساعي في سبيل الاتحاد بين الكنيستين الأرثوذكسية والبابوية جرت على عهد يوحنا السابع البالبولوغوس (١٤٢٥ - ١٤٤٨) يوم التأم مجمع فلورنسا المزيف سنة ١٤٣٩. الذي حضره أساقفة يونانيون ووقعوا وثيقة اتحاد الكنيستين على أساس خضوع الكنيسة الأرثوذكسية لبابا رومية. غير أن وجود مطران أفسس (مرقص) في ذلك المجمع أفسد على القوم دسائسهم. فقد فند مرقص البدع البابوية ونقضها علناً. ورفض أن يوقع وثيقة الاتحاد المزيف. وعندما عاد إلى القسطنطينية استقبله الشعب استقبال الفاتحين. وهكذا بقي ذلك المجمع غير معترف به من الكنائس الأرثوذكسية حتى اليوم.

ولكن البابوات ما زالوا يتوقون إلى اخضاع الشرق لسلطتهم ولما فشلوا من اخضاع مجموع الكنائس الأرثوذكسية وجهوا جهودهم إلى اخضاع الأفراد واستخدموا لبلوغ امنيتهم الطغمات الرهبانية كاليسوعيين (الجزويت) وبنوا في رومية معهداً علمياً يتربى فيه شبان شرقيون على مبادئهم ليعودوا إلى الشرق فينشروا الدعوة البابوية بين ذويهم وابناء جنسهم. وكانت جمعية البروباغندا تساعدهم على تحقيق مآربهم. فانضم إليهم عدد لا يستهان به من الأرثوذكس.

وسنة ١٨٦٩ وجه البابا بيوس التاسع رسالة إلى بطاركة الشرق يدعوهم فيها إلى الاعتراف به رئيساً أعلى.

وسنة ١٨٨٠ أمر لاون الثالث عشر أن تحتفل الكنائس الغربية بعيد الرسولين السلافيين مثوديوس وكرللس بقصد استمالة السلاف الأرثوذكس.

وسنة ١٨٩٥ اصدر منشوراً يدعو فيه الشرقيين للانضمام إليه فأصدر بطريرك القسطنطينية بتاريخ شهر آب 1895 منشوراً رفض فيه دعوة البابا.

قال أستاذنا في جامعة اثينا أميل اليفيزاتوس أن الاتحاد بين الكنيستين الأرثوذكسية والبابوية غير ممكن لأن أسباب الأنشقاق لم تكن عقائدية لأن العقائد هي واحدة. ولا طقسية فالطقوس هي وليدة تقاليد وعادات كل من الشرق والغرب. انما السبب الحقيقي هو الرئاسة العليا.

فبابا رومية لن يتنازل عن سلطته العليا. والكنيسة الأرثوذكسية لن تعترف بالسلطة العليا للفرد. بل تؤمن انها للمجامع المسكونية. كما كانت الحال قبل الأنشقاق. وكل المؤتمرات والاجتماعات واللقائات والابحاث التي جرت وتجري وسوف تجري كلها سيكون مصيرها الفشل. لأنها تدور خارج الموضوع الأساسي الذي هو الرئاسة العليا للكنائس المسيحية. هذا هو الموضوع الأساسي الذي يجب أن نبحث فيه. وكل بحث خارج هذا الموضوع هو مضيعة للوقت. لذلك

يقترح أستاذنا المشار إليه أن يتحول السعي لتوقيع معاهدة صلح وسلم وعدم اعتداء بين الكنبستين. لأن السلام هو من وصايا السيد المسيح الذي قال:

«سلاماً اعطيكم، سلاماً اترك لكم»، ولأن الاعتداء لا يليق بين الأخوة المؤمنين بمسيح واحد.

الكنيسة البروتستانتية

كان البابا لاون العاشر بحاجة إلى المال لانهاء بناء كنيسة القديس بطرس في روما. فأرسل رهباناً إلى كل انحاء العالم ليبيعوا اوراق غفرانات. وكان الراهب الدومنكاني يوحنا تاتزال مكلفاً ببيع الغفرانات. فجاء إلى وتمبرج حيث كان يقيم الكاهن لوثير المولود (١٤٨٣). وبينما كان هذا يعلم بان غفران الخطايا يمنح لمن يتوب توبة صادقة جاء تاتزال يبيع الغفرانات بقليل من الدراهم. أمام هذه المتاجرة بالدين لم يتملك الأب لوثير من ضبط اعصابه فهاج دمه مدفوعا من غيرة شريفة وقرر أن يثور على هذه التجارة بالمقدسات. وبتاريخ ٣١ تشرين الأول ١٥١٧ علق على باب الكنيسة البنود المشهورة (عددها ٩٥) التي بها حارب بيع الغفرانات. وعلم أن التوبة الصادقة هي التي تصالحنا مع الله وليس الدراهم التي نشتري بها أوراق الغفرانات.

وخلال مدة وجيزة أصبحت تلك البنود معروفة في كل أوروبا. فأصدر البابا سنة ١٥٢٠ منشوره الذي فيه أعلن أن لوثير هرطوقي وامر بالقاء كتاباته في النار.

أما لوثير فقد القى منشور البابا في النار. ومن ذلك الحين

اعتبر لوثير منفصلاً عن الكنيسة البابوية. وسنة ١٥٢١ وقف لوثير أمام مؤتمر الأمراء في ورمز ودافع عن تعاليمه وابى أن يتخلى عنها إلا إذا برهنوا له عدم صحتها من الكتاب المقدس الذي كان يعتبره المعصوم عن الخطأ وحده. وانهى دفاعه بهذه الكلمات:

«هنا اقف ولا استطيع أن أفعل غير ذلك فليساعدني الله» مع ذلك قد أصدر المؤتمر حكماً برفض تعاليم لوثير.

وقام القيصر والأمراء يطلبون وأد اللوثيرية. ولكن لوثير وجد صديقاً مخلصاً هو فريديريك الحكيم فساعده كثيراً.

ثم جاء مؤتمر سبير ١٥٢٩ فصادق على قرارات مؤتمر وارمز. حينئذٍ احتج اتباع لوثير. ومن ذلك الحين دعوا المحتجين (بروتستانت).

وبعد مفاوضات طويلة وحروب دموية طاحنة حصل البروتستانت ١٥٥٥ على حريتهم الدينية بالصلح الأوغسطيني ولكن هذا الصلح لم يضع حداً للاضطهادات الدموية التي كان أفظعها المذبحة التي جرت في فرنسا ليلة عيد القديس برثولماوس سنة ١٥٧٢ وفيما تلاها من الأيام. حتى انه خلال شهر واحد قتل من البروتستانت نحو اربعين ألف نسمة.

أما الصلح الذي تم في وستفاليا سنة ١٦٤٨ فقد صادق على الصلح الأغسطيني بصورة نهائية. ومع ذلك تبعته

اضطهادات خصوصاً على عهد لودفيك الرابع عشر سنة ١٧١٥ في فرنسا عندما اضطرت نحو خمسين ألف عائلة بروتستانية أن تهجر وطنها لأنه حظر عليها أن تمارس دينها بحرية.

وقد وضعت الثورة الفرنسية حداً لهذه الاضطهادات سنة ١٧٨٩.

لا شك في ان لوثر كان رجلاً عظيماً. ويستحق كل تقدير واحترام. وكم نحن اليوم بحاجة إلى لوثر ثان.

وبينما كان لوثر ينشر الاصلاح في المانيا كان زونيكل (١٤٨٤) يبشر بمبادىء قريبة من اللوثيرية في سويسرا. وقد قتل سنة ١٥٣١ في موقعه جرت بين اتباعه وبين البابويين.

وبعده استلم زعامة المصلحين يوحنا كلفين (١٥٦٤) الذي اشتهر بمحافظته الشديدة على الاخلاق. ومنه دعي الاصلاح في سويسرا كلفينيا.

وفي القرن السادس عشر دخل الاصلاح إلى انكلترا. وهنا دخلت الكلفينية. ولكنها حافظت على درجة الأسقفية. لذلك دعيت الكنيسة الأنكاليكانية أو الابيسكوبالية (الأسقفية).

إن أهم الكنائس البرتستانية هي: اللوثيرية والكلفينية والأنكليكانية.

لا ننكر أن زعماء الحركة الاصلاحية الدينية كانوا مثقفين ومخلصين. ولكن بما أنهم نشأوا في الكنيسة البابوية وتثقفوا

بمدارسها. كانوا يجهلون حقيقة الكنيسة الأرثوذكسية.

وأول اتصال جرى بين البروتستانت والأرثوذكس كان على عهد بطريرك القسطنطينية واصف الذي ارسل شماسه ديمتريوس إلى وتمبرج ليستفهم عن حقيقة الاصلاح الديني. فعاد الشماس المذكور إلى القسطنطينية سنة ١٥٥٩ حاملاً معه رسالة من فيليب ملانكثون إلى البطريرك مع نص الاعتراف الأوغسطيني.

جاء في هذه الرسالة أن ملانكثون قد تعزى كثيراً عندما علم من الشماس ديمتريوس أن الكنيسة الأرثوذكسية ما تزال باقية بالرغم من الاضطهادات التي قام بها الباباوات ضدها. وقد شبه بقاء الأرثوذكسية في قيد الحياة ببقاء الفتية الثلاثة في الأتون سالمين. ثم يأمل أن يروي الشماس للبطريرك ما رأى وما سمع عن الحركة الاصلاحية مؤكداً للبطريرك أن المصلحين يحافظون على الكتب المقدسة وعلى تعاليم المجامع واباء الكنيسة الأرثوذكسية.

وسنة ١٥٧٤ كتب اللاهوتيون اللوثيريون رسالة إلى البطريرك أرميا الثاني يعرضون فيها ايمانهم ويطلبون من البطريرك ايجاد صلة بينهم وبين الكنيسة الأرثوذكسية موضحين انهم لم يثوروا على الأرثوذكسية بل على البابوية التي أفسد بعض رهبانها الدين المسيحي. أجابهم البطريرك أرميا موضحاً لهم أن الشرقيين وان اتفقوا مع البروتستانت على رفض البابوية

والمطهر والغفرانات وبتولية الأكليروس الإجبارية وغيرها فهم يختلفون واياهم على أمور اخرى خصوصاً على الأسرار السبعة والتقليد الشريف ودرجة الأسقفية. وقد تبادل الطرفان عدة رسائل ولكن لم يحصل اتفاق بينهما.

كذلك جرت مساع كثيرة في سبيل الاتحاد بين الأرثوذكس والبروتستانت ولكنها لم تثمر. أما البطريرك كيرللس لوكاريوس (القرن السابع عشر) فقد أظهر محبة وافرة نحو البروتستانت آملاً أنه بصداقته معهم يمكنه أن يحبط مساعي اليسوعيين في الشرق. ولكن تصرفه هذا لم يرضِ الكنائس الأرثوذكسية فانتقدوه وحكموا على المنشور الذي أصدره بهذا الشأن بالرفض.

وفي الآونة الأخيرة ظهر كثيرون من البروتستانت وخاصة في انكلترا وابدوا رغبة في الاتحاد مع الأرثوذكسيين وقال الأنكليكانيون انهم مستعدون لإقتبال العقائد الأرثوذكسية كلها ليصير الاتحاد بين الكنيستين الأنكليكانية والأرثوذكسية. وذلك ثابت في اعمال المؤتمر المسيحي الذي عقد في جنيف ١٩٢٠ للبحث في الفروقات القائمة بين الكنائس المسيحية كلها. وقد قرر هذا المؤتمر امكانية الاتحاد بين الأرثوذكس والكاثوليك القدماء والانكلكان. وقد انتخب لجنة من اعضاءه لمتابعة درس هذا الموضوع.

تعاليم الكنيسة الإنجيلية

لا شك في أن مسؤولية قيام الحركة الاصلاحية الدينية تقع على عاتق بابا رومية الذي رفض أن يصغي إلى كلمة النصح التي أبداها لوثير. فدفعه إلى القيام بحركته الاصلاحية دفعاً.

ولا شك أيضاً في أن تعاليم الكنيسة الإنجيلية نتجت عن معارضتها للتعاليم البابوية. وإليك أهم تعاليم الكنيسة الإنجيلية:

- الكنيسة البابوية أهملت الكتاب المقدس وانحرفت عن تقاليد الكنيسة القديمة.
- الكنيسة الإنجيلية رفضت كل التقاليد القديمة الصحيح منها والفاسد. واعتبرت الكتاب المقدس مصدراً وحيداً للدين المسيحي.
- تلك ركزت على المظاهر الخارجية واهملت جوهر الدين.
- وهذه ثارت على التدين الخارجي وعلى الطقوس. وعلّمت ان المسيحي الحقيقي هو من يؤمن بالله ايماناً قلبياً وليس من يصلي ويصوم ويحج إلى رومية ليسجد للبابا الجالس على عرشها. وقد بالغت في محاربتها للتعاليم البابوية التي حصرت الكداسة في المظاهر الخارجية حتى انها (اي الإنجيلية) حصرت كل شيء بالنعمة الالهية.
- تلك حرفت الاسرار الالهية.

- وهذه رفضت الاسرار. عدا المعبودية والشكر.

- تلك ألهت الاسقفية واعتبرت بابا رومية نائباً عن الله على الأرض.

- وهذه رفضت الاسقفية من اساسها.

- تلك عظمت مظاهر العبادة باقامة المهرجانات والحفلات الفخمة.

- وهذه الغت العبادة الخارجية وحصرتها في تلاوة الكتاب المقدس والوعظ والترتيل.

- تلك بالغت في تكريم العذراء مريم والقديسين والايقونات.

- وهذه نبذت كل تكريم للعذراء وللقديسين والايقونات.

- تلك فرضت البتولية على الأكليروس.

- وهذه رفضت البتولية وتزوج الزعيم لوثير من راهبة.

وبما أن الكنيسة الإنجيلية خرجت من احضان الكنيسة البابوية. فقد حافظت على بعض تعاليمها مثل: الزيادة التي ادخلتها على دستور الايمان (الروح القدس المنبثق من الأب والابن). مع أن هذه الزيادة تناقض ما ورد في الكتاب المقدس عن الانبثاق.

- كذلك حافظت الكنيسة الانجيلية على التعميد بالرش. وعلى استعمال الفطير في سر الشكر.

دفاع لوثير عن الأرثوذكسية

إن الزعيم لوثير ادى شهادة قيمة عن الأرثوذكسية في حديث جرى بينه وبين يوحنا آك في ليبسك سنة ١٥١٩ هذه خلاصته:

لوثير - إن الكنيسة الأرثوذكسية كانت وما تزال تخص المسيح بدون بابا.

آك - لقد ابتعد الأرثوذكس عن الإيمان الحقيقي بابتعادهم عن البابا. وسوف لا يخلص منهم في يوم الدينونة غير الذين يعترفون بالبابا.

لوثير - أليس من الوقاحة أن نُخرج من الكنيسة الوفاً من الشهداء القديسين الذين ظهروا في الكنيسة الأرثوذكسية خلال اربعة عشر قرناً وان نطرد من السماء أصحاب الملك فيها.

وان تجاسر المتزلفون إلى البابا ان ينطقوا بمثل هذه الأقوال السخيفة. فلا يمكنهم أن ينكروا أن كنيسة المسيح قد تأسست في أكثر أنحاء العالم قبل رومية بمدة عشرين سنة على الأقل. فليس صحيحاً أن كنيسة رومية كانت الأولى وانها رأس الكنائس. ومما يثبت صحة قولي هذا .هو أن الكنيسة الأرثوذكسية لم تقبل أساقفة من قبل رومية على الأطلاق.

شهادة بابويين وانجيليين
للكنيسة الأرثوذكسية

من البابويين اللاهوتي والمؤرخ الكبير دالينكار (القرن التاسع عشر) يقول في كتابه (اتحاد الكنائس) صفحة ٥٠ ما يلي: «أن الكنيسة الأرثوذكسية هي محترمة نظراً لأقدميتها وتسلسل الأسقفية فيها من الرسل ولمحافظتها على الايمان دون تغير».

وفي صفحة ٤٣ من الكتاب ذاته يقول دالينكار: «أن الكنيسة الأرثوذكسية باقية كما كانت قبل الإنشقاق. فلاهوتها يستند إلى التقليد الشريف وإلى آباء القرون السبعة الأولى».

كذلك الواعظ الفرنسي الشهير (اياكنت) يقول في جريدة العصر الباريسية تاريخ ٢٦ آذار ١٩٠٥ ما يلي:

«إن الكنيسة الأرثوذكسية بالرغم من كل ما أصابها من اضطهادات قد سلمت من تطرف البروتستانت وانحرافات البابويين. وسوف تعتبر الكنيسة الأرثوذكسية المحور الذي سيلتف حوله العالم المسيحي عاجلاً أم آجلاً.

ومن الإنجيليين اللاهوتي والفيلسوف الألماني الكبير بادار في كتابه (الكثلكة في الشرق والغرب) سنة ١٨٤١ قد شهد للكنيسة الأرثوذكسية بأنها حافظت على الدين المسيحي الحقيقي. وقد هزّ كتابه الجالس على العرش في روما.

الكنيسة الانكليكانية

إن الكنيسة الإنكليكانية تؤمن بتعاليم الكنيسة القديمة وبالتقليد الشريف. وتحترم الكنيسة الأرثوذكسية. وتسعى للاتحاد معها. كما تبين من أعمال المؤتمر الذي انعقد في جنيف سنة ١٩٢٠ للبحث في الفروقات بين الكنائس المسيحية. ذلك المؤتمر الذي قرر امكانية الاتحاد في الوقت الحاضر بين الأرثوذكس والكاثوليك القدماء والانكلكان.

إن البطريرك المسكوني الحالي باسيليوس أرسل رسالته السلامية إلى رئيس أساقفة كنتربري بمناسبة تسلمه كرسي القسطنطينية. كما أرسلها إلى سائر رؤساء الكنائس الأرثوذكسية المستقلة. وهذا العمل يشكل اعترافاً ضمنياً بهذه الكنيسة.

كنيسة الكاثوليك القدماء

قلنا أن عدداً من المسيحيين الغربيين خرجوا من أحضان الكنيسة البابوية عندما قرر مجمع رومية سنة ١٨٧٠ عصمة البابا. احتجاجاً على هذا القرار وقد سموا أنفسهم : الكاثوليك القدماء.

قال ممثلهم هيرزوك في مؤتمر جنيف ١٩٢٠ ما يلي :

نحن الكاثوليك القدماء نرفض عصمة الباب وانبثاق الروح القدس من الابن.

ونحن نؤلف الكنيسة الغربية قبل الانشقاق. ونؤمن بكل ما قررته المجامع المسكونية التي انعقدت قبل الانشقاق. ونحترم الكنيسة الأرثوذكسية لأنها حافظت على الدين المسيحي دون تغيير.

إن بطريرك الأسكندرية فوتيوس حضر المؤتمر المسيحي الذي انعقد في استوكهولم واشترك مع الانكلكان والكاثوليك القدماء.

ونأمل من المجمع المسكوني الأرثوذكسي العتيد أن يقرر الاتحاد مع الكنيستين المذكورتين.

الكنيسة الأرثوذكسية

رأينا في ما تقدم أهم الفروقات بين الكنائس المسيحية.

والآن نعطي صورة مصغرة عن كنيستنا الأرثوذكسية.

إن الكنيسة الأرثوذكسية (أو الشرقية) هي مجموعة كنائس مستقلة مرتبطة بعضها ببعض بوحدة الإيمان القويم. والأسرار المقدسة. والتقليد الكنسي الشريف.

تتقدمها في الكرامة كنيسة القسطنطينية نظراً لأهميتها التاريخية. لأن الملك قسطنطين الكبير الأرثوذكسي الأول أعلن الدين المسيحي دين الدولة الرسمي من القسطنطينية. فله يعود الفضل الأكبر في نشر المسيحية في العالم بعد أن كانت تعيش في الدهاليز تحت الأرض. لذلك رفعته الكنيسة مع أمه هيلانة إلى رتبة الرسل القديسين.

وفي الشرق ظهر المسيح والرسل وسائر الأنبياء. وبلغة الشرق كتبت الأناجيل المقدسة. ودستور الإيمان. وقوانين المجامع المسكونية. «فالنور من الشرق».

أما كلمة أورثوذكس فقد أطلقت على الذين قبلوا دستور الإيمان الذي وضعه المجمعان المسكونيان الأول سنة ٣٢٥ والثاني سنة ٣٨١.

أما الذين رفضوا هذا الدستور فقد أطلق عليهم كلمة هراطقة.

فالبطريرك القسطنطيني (أو المسكوني) له المركز الأول. ويأتي بعده البطريرك الاسكندري. فالبطريرك الأنطاكي. فالبطريرك الأوراشاليمي. فبطريرك موسكو وكل روسيا. وبعدهم يأتي البطاركة الآخرون ورؤساء الكنائس المستقلة.

وبعبارة اخرى: أن الكنيسة الأرثوذكسية هي عائلة مؤلفة من أخوة متساوين في الحقوق. اكبرهم بطريرك القسطنطينية الذي هو (متقدم بين متساوين).

فكل كنيسة مستقلة لها ادارة مشابهة للادارة في الكنائس الأخرى. وكل بلاد تستقل سياسياً تستقل كنيستها ادارياً.

إن الرئاسة العليا في كل بطريركية أو كنيسة مستقلة هي للمجمع المكاني (أو المحلي) أما الرئاسة العليا على كل البطريركيات والكنائس المستقلة. فهي للمجمع المسكوني. المؤلف من البطاركة ورؤساء الكنائس المستقلة.

وأما العقائد والطقوس فهي واحد في جميع البطريركيات والكنائس المستقلة. فليس في الأرثوذكسية كنيسة تتسلط على غيرها. ولا يقع تصادم بين الدولة والكنيسة لأنها تعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله. ورجال الدين الأرثوذكس هم مواطنون مخلصون للدولة وأوفياء لمواطنيهم. ولا يتبعون

سياسات ضد المصالح الوطنية. وقد ساهموا في بلدان كثيرة في تحرير تلك البلدان واستقلالها نذكر منها بلاد اليونان وبلاد الروس. وما حدث في الثورة الفرنسية حين اضطر البرلمان الفرنسي أن يلغي الديانة المسيحية في فرنسا بسبب عداء الأكليروس الغربي للحرية والاستقلال. لم ولن يحدث في الكنيسة الأرثوذكسية.

لم تقم في الكنيسة الأرثوذكسية محاكم تفتيش. تلك المحاكم التي قامت في الكنيسة البابوية. فزجت الألوف من الناس في النار وأذاقت الألوف من العذاب اشكالاً «وألواناً».

ولم تستخدم الكنيسة الأرثوذكسية الطغمات الرهبانية لخدمة غاياتها الخاصة. تلك الطغمات المتعصبة التي سببت الحروب الدينية. حتى أن الشعوب الكاثوليكية سنة ١٧٧٣ طلبت الغاءها. ولكن البابا بيوس السابع سنة ١٨١٤ أمر بأعادتها إلى العمل.

خلاصة القول:

إن الكنيسة الأرثوذكسية هي كنيسة المسيح. فلم ولن تعترف بسواه رئيساً اعلى عليها. ولم ولن تقبل تعاليم غريبة عن تعاليمه. بل ستبقى محافظة على الأمانة كما تسلمتها من المسيح ورسله الأطهار. وسيبقى المسيح معها إلى الأبد. وابواب الجحيم لن تقوى عليها.

واختم هذه المقالة بفقرة من كتاب تلقيته من سيدي البطريرك غريغوريوس حداد مؤرخ في ١١ أيلول ١٩٢٥ وهذه هي:

«يعيرون الأرثوذكسية بأنها تتألم. جاهلين أن الخير والحق يقاومان لأنهما خير وحق. وأن الأرثوذكسية ستبرز بعد الاضطهاد كالذهب من البوتقة. وان الأجر على قدر المشقة. والرب سيختم هذه الجهادات بأكلة المجد والشرق».

كان الفراغ من كتابة هذه المقالة في ١٠ تشرين الأول حساباً شرقياً سنة ١٩٢٥ في مدينة اثينا - بلاد اليونان.

الشماس بولس الخوري

فلسفة الانشقاق

القيت في كنيسة مارجورجس

بيروت ١٩٤٠/٣/١٥

في هذه الأيام يدور الكلام كثيراً حول (اتحاد الكنائس).

لكي يتم الإتحاد يجب أن نعرف أسباب الإنشقاق.

لقد كتب في موضوع الإنشقاق أكثر من كتاب ولكن الكتّاب عادة يكتبون ما يوافق أميالهم وليس من السهل أن يعرف الإنسان حقيقة الأحداث التاريخية.

الإنشقاق هو الإنفصال بين الكنيستين الشرقية والغربية وفلسفة الإنشقاق هي بحث الأسباب التي أدت إلى الأنشقاق.

لا يجوز أن نعتبر شخصاً معيناً أو حادثة معينة من أسباب الإنشقاق. فالأحداث الحاضرة لها علاقة بأحداث الماضي واحداث المستقبل لها علاقة بالماضي والحاضر. فتاريخ البشرية سلسلة حلقاتها متصلة بعضها ببعض ولا يجوز أن ندرس حلقة دون أن ندرس الحلقات الأخرى.

إن الموضوع حساس جداً لأنه يمس العقائد ولكني سأجرب على قدر الإمكان أن أتجنب ما يمس الآخرين. كانت الكنيسة واحدة ثم تفرقت لأسباب بشرية والشر عادة يتغلب على الخير.

فالإنشقاق هو نتيجة طبيعية لمقدمات تاريخية. وكل الأسباب التي ذكرها المؤرخون ليست سوى مبررات. أما الأسباب الحقيقية كما رأيتها فهي الآتية:

١ - التنافس بين الشرق والغرب.

٢ - الإختلاف في العقلية والطباع والأميال والعادات والتقاليد والأخلاق.

٣ - الخلاف على الرئاسة العليا للكنائس كلها. فالشرق يريدها للمجمع المسكوني. والغرب يريدها لبابا رومية. والرومان كانوا يؤلهون القياصرة. فصاروا يؤلهون البابوات.

أما قضية انتخاب البطريرك فوتيوس في القسطنطينية فهي سبب ظاهري.

كان البطريرك فوتيوس يعبر عن عقلية الشرق. والبابا نيقولا يعبر عن عقلية الغرب. والبرهان على ذلك أنه لم يقم في الشرق من يعترض على القرارات التي أتخذها فوتيوس مع بطاركة الشرق ضد البابا نيقولا. ولا قام في الغرب من يعترض على قرارات البابا ضد الكنيسة الشرقية.

عيد الرسولين بطرس وبولس

الكلمة التي ألقاها المطران بولس الخوري في دمشق بمناسبة عيد الرسولين بطرس وبولس في ١٩٨٦/٦/٢٩.

في دمشق نتذكر اهتداء الرسول بولس وتنصره في الشارع المستقيم الذي يرمز إلى الطريق القويم التي ما زالت تسير عليها كنيستنا الأرثوذكسية.

وفي دمشق نتذكر أيضاً القديس يوحنا الدمشقي الفيلسوف واللاهوتي والشاعر والموسيقي الذي كان أوفر الأباء الشرقيين حظاً في الخلود. لأن الكنيسة الأرثوذكسية ما زالت حتى اليوم ترنم قصائده وتردد موسيقاه وتسترشد بلاهوته وفلسفته.

وفي ذكرى الرسولين بطرس وبولس مؤسسي الكرسي الانطاكي نتذكر مدينة انطاكية التي فيها دُعي المؤمنون بالمسيح مسيحيين أولاً. كما نتذكر القديس أغناطيوس المتشاح بالله الذي كان الأسقف الثاني لمدينة أنطاكية الذي يمثله بيننا اليوم الجالس بجدارة واستحقاق على كرسي الرسولين بطرس وبولس غبطة بطريركنا الجليل أغناطيوس الرابع (هزيم) أطال الله عمره. ولا ننسى الذهبي الفم يوحنا أخطب رجل في العالم مفخرة الكنيسة الانطاكية. إني أتطلع إلى ذلك اليوم الذي فيه سوف يعود المسيحيون إلى كنيسة المسيح لاننا

بالمسيحي قد اعتمدنا وإلى المسيح أنتسبنا، والمسيح هو المؤسسس الحقيقي للكنيسة وهو أعظم من بطرس ومن بولس.

أجل إني أتطلع إلى ذلك اليوم الذي فيه سوف يعود كل المؤمنين بالمسيح إلى كنيسة المسيح لا إلى كنيسة بطرس ولا إلى كنيسة بولس. إننا نؤمن بأن الكنيسة هي جسم حي ورأسها هو المسيح الحي. ولا نؤمن برأس يموت لكنيسة حية لا تموت.

وأخيراً أتطلع إلى ذلك اليوم الذي فيه سوف تعود انطاكية إلى العالم العربي، وإلى اليوم الذي فيه سنقيم الاحتفال بعيد مؤسسي الكرسي الانطاكي في مدينة انطاكية العربية.

المطران بولس الخوري

خطاب غبطة البطريرك
اغناطيوس الرابع
بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩٨٧

احتفل الكرسي الانطاكي المقدس بعيد مؤسسيه الرسولين بطرس وبولس. وأقيم قداس احتفالي برئاسة غبطة البطريرك اغناطيوس الرابع ومشاركة السادة المطارنة اعضاء المجمع المقدس.

وخلال القداس ألقى غبطة البطريرك الخطاب التالي:

«أيها الأحباء،

الموضوع الذي أود التركيز عليه هذا الصباح هو كلمات بولس الرسول الذي تذكرونه عندما تذكرون السور في دمشق وعندما نذكر الشارع عندنا امام الدار البطريركية. نحن لسنا في حاجة إلى من يدلنا على بولس الرسول. أما بطرس الرسول فكان صياداً من جماعتنا، عاش عمره في هذه المنطقة لكننا لا نعرف الكثير عنه، وهناك من يقول انه بشر بالمسيح حتى رومية. لكن الأكيد أنه كان هنا وعاش هنا ومن هنا انطلق إلى حيث انطلق.

ماذا قال بولس الرسول اليوم وهو يتكلم انطاكيا بالمعنى الحقيقي العميق للكلمة؟

لقد قال اننا كنا جماعة شجعان. وكلامه موضوعي. كنا شجعاناً، أقليه بين كثرة ليست منا ولم نستسلم. ضعفاء أمام أقوياء ولم نستسلم. طرحنا في السجون ولم نستسلم. كنا شجعاناً لأن المؤمن شجاع قبل أي شيء. المؤمن المتخاذل ليس مؤمناً، وعندما تخاذل بطرس الرسول، ككل إنسان في وقت من الأوقـات، قدم اعتذاره وتوبته للرب وأعيد إلى سابق مجده. القانون العام في الكنيسة لم يكن يوماً من الأيام أن نتخاذل في قضايا إيماننا وان نستسلم للقوى الغاشمة التي تريد اركاعنا امام غير المسيح.

المدارس، قبل القرن الثالث المسيحي، كانت تعلم علوماً متعددة، وقد برز فلاسفة وجماعات أدب بدأت من الأسكندرية إلى انطاكية بالذات، إلى نصيبين فأفسس. مدارس الفكر كانت في أرضكم أيها الأحباء، وعندما أتاها إنسان أعزل هو الرب يسوع، الآله المتجسد. اختار حوله جماعة عزل وقفت أمام هذه المدارس الفكرية كلها لتقول لها: الرب وحده الرب، وحده المخلص، والإنسان على صورة الله ومثاله هو.

الإيقونات الأولى التي عرفها العالم المسيحي عرفها من خلال هذه المنطقة أيها الأحباء. اذهبوا إلى المتحف الوطني تجدوا فيه غرفة مصورة من قبل تاريخنا في دورا اوروبوس على ضفة الفرات، كانت من أوائل الأماكن التي صور فيها الإنسان، لأن الإنسان على صورة الله ومثاله، وحده بشر بأن

صورة الله ومثاله يحترمان ويقدسان في الإنسان مالك صورة الله. أو ظل على الأقل من ظلال ذلك الأصل.

ألحاناً سمعتم اليوم. تحولت إلى مهرجان. هذا التلحين بالذات بدأ عندكم، هنا، في دمشق. ومن دمشق انطلق يوحنا الدمشقي صاحب هذه الألحان إلى دير مار سابا في فلسطين حيث تطورت الموسيقى. ومعظم القطع التي ترتلها الكنيسة الأرثوذكسية العامة في العالم هي من الكرسي الانطاكي.

لن أتوسع أكثر مع أن مجالات التوسع في مزايا الكرسي الانطاكي اوسع مما يتصوره العقل، فكلها نبتت في الكرسي الانطاكي وان لم تزدهر كلها فيه بل ازدهرت في أماكن اخرى.

أعود لأقول: أن الكـرسي الانطاكي قد اتصف دائماً بالشجاعة، بالمبادرات، بالمواجهة وبشخصيته المتميزة. لم تطبعه مسيحية ما، من أية ناحية أكثر مما طبعها هو بالذات. لقد تعلم الكرسي الانطاكي من الكثيرين لكنه علم الكثيرين ايضاً. واليوم أنظر إلى كرسينا الانطاكي واريد أن أعتقد، بحرارة جديدة. انه من الكرسي الانطاكي يجب أن تنطلق شجاعة جديدة ومبادرات، كما في التاريخ. هذه نعلمها لسوانا ولا نبقى في مقاعد الدراسة. فمن كان بطرس وبولس معلميه، من كانا مواطنيه، ومن كانا مؤسسي كنيسته ممن له أن يتعلم؟

أيها الأحباء، كونوا شجعاناً في ايمانكم. بيتكم ليس مبنياً على الرمل إنما على الصخر، كنيستكم مبنية على الصخر

وابواب الجحيم ذاتها لن تقوى عليها. ايمانكم أصيل وليس فرعياً. كنيستكم تصدّر الروح المسيحي ولا تستورده.

في هذه المناسبة الشريفة أطلب إليكم أيها الأحباء أن تدخلوا أكثر فأكثر إلى أعماق كنيستكم، أن تتعمقوا فيها أكثر فأكثر وتندمجوا بها أكثر. القوى الخارجية تجتذبكم، لكنكم مع القوى الخارجية ستبقون غرباء إلى الأبد. كنيستكم وحدها تدعوكم لكي تصيروها وتصير هي أنتم. فباسم الرسولين بطرس وبولس وباسم معلمهما الرب يسوع ابن الله الوحيد الذي تجسّد من أجل خلاصنا، أطلب إليكم أن تكونوا شجعاناً في إيمانكم وان تقولوا قولاً واحداً: «قدوس واحد، رب واحد يسوع المسيح في مجد الله الأب، آمين».

الفهرس

الاهداء ٣
مقدمة ٥
كيف حصل الانشقاق بين الكنيستين ٧
الفروقات العقائدية بين الكنيستين ١٣
الفروقات الطقسية ١٧
الفروقات الادارية ٢٣
المساعي في سبيل الاتحاد ٢٩
الكنيسة البروتستانتية او الانجيلية ٣٢
تعاليم الكنيسة الانجيلية ٣٧
دفاع لوثر عن الأرثوذكسية ٣٩
شهادة بابويين وانجيليين للأرثوذكسية ٤٠
الكنيسة الانكليكانية ـ الكاثوليك القدماء ٤١
الكنيسة الأرثوذكسية ٤٣
فلسفة الانشقاق ٤٧
عيد الرسولين بطرس وبولس ٤٩
خطاب غبطة البطريرك اغناطيوس الرابع ٥١